قراءة في أسماء الحروف العربية وترتيبها

أ.مالك محمد

جامعة وهران

مقدمة:

يطلق الاسم- في الاصطلاح اللغوي – على اللفظ الموضوع على الشيء لتمييزه عن غيره، ويُجمَع الاسم على أسماء بوزن (أفعال)، واختلف في اشتقاقه؛ أمِنَ السموِّ على مذهب البصريين أم من السمة وهي العلامة على رأي الكوفيين.

ويصغَّرُ (سُمَي) وأصله سميو، وأصل أسماء (أسماو)، وفيه لغات: اسم، وسِمٌ، وسُمٌ[1].

والحرف في الأصل الطرف، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء[2].

والهجاء القراءة، ويقصد به تقطيع اللفظة بحروفها، يقال تهجيت الحروف هجاءً، وتهجيته[3].

وقد تفطن بعض علماء العربية إلى ميزة مهمة في أسماء حروف العربية جعلت الواحد من الحروف لفظه في أول حرف من اسمه؛ فعند النطق بالباء

1- ينظر: لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وجماعة، دار المعارف – القاهرة، مادة: سما.

2- المصدر نفسه مادة: حرف.

3- المصدر السابق، مادة: هجا

مثلاً يتضمن أول الاسم صورة النطق بها، يؤكد هذا ما قاله أبو الفتح عثمان بن جني: "اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة واواً مرةً وياءً أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ولو أُريدَ تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال... وفيها دلالة أخرى وهي أن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت جيم فأول حروف الحرف(جيم)... وإذا قلت حاء فأول ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت ألف فأول الحروف التي نطقت بها همزة فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً"[1]، وما اختلاف الناس في اسم الهمزة أيقال عنها ألف أم همزة إلا كونها لا تستقر في رسمها على حال واحدةٍ.

واستدل المالقي (ت 702هـ) على أن الألف هي الهمزة بأمرين اثنين؛ قال: "والدليل على أن الألف هي الهمزة شيئان:

أحدهما: أنا إذا ابتدأنا بالهمزة على أيِّ صورة تحركت من الضم أو الفتح أو الكسر كتبناها ألفاً لا خلاف بين جميعهم في ذلك...

والثاني: إذا نطقنا بحرف من حروف المعجم، فلابد من النطق بأول حرف منه في أول لفظه نحو: باء وتاء وجيم وحاء إلى آخر حروف المعجم ولما كنا نقول: ألف، فتكون الألف في أوله علمنا أنه كسائر الحروف في ما ذكرنا"[2].

1- سر صناعة الإعراب، 1/46-47.

2- مسائل في الرسم والنطق، ص: 14[نقلا عن وصف الباني ص: 104].

من خلا ما سبق في مقدمة هذا البحث تجلى لدى الدارسين المحدثين وهم يتابعون تاريخ الكتابات إلى أن أسماء الحروف في العربية منحدرة أيضاً عن أسماء الحروف في الكتابات القديمة التي انبثق عنها الحرف العربي من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكتابات التي ترتبط بها الكتابة العربية حوت خاصية وجود لفظ الحرف في أول اسمه، لذا باتت الظاهرة شائعة.

ويلفت نظرنا أن الأبجدية العربية تحتفظ حين سمّت الحروف بآثار أسماء حروف أختها الأبجديات السامية القديمة؛ "إذ يفترض العلماء أن أسماء الحروف السامية جاءت عندما أخذ السينائيون القدماء صور الكلمات الهيروغليفية المصرية وأغفلوا نطقها القديم وأطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم الخاصة للدلالة على الصوت الأول من تلك الكلمات"[1]، يوضح هذا القول المثال الآتي: أخذ السينائيون صورة رأس الثور وأغفل نطق الصورة في اللغة المصرية، في حين أطلقوا عليها الذي يقابلها في لغتهم، ثم – وأخذا بمبدأ القانون الأكروفوني الذي يتخذ من الحرف الأول اسم من أسماء الصورة على حساب الباقي من أبجدياتها – صارت هذه العلامة رمزاً لحرف الألف، لأنه هو الأول لكلمة "ألف" السامية المقابلة للكلمة المصرية المذكورة سابقاً: وعلى هذا القياس سار السينائيون في معالجة صورة "بيت" فأطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم، ثم اعتمدوا على الحرف الأول من اسمها في لغتهم وهو الباء، وهكذا في بقية الحروف"[2].

1- رسم المصحف، ص: 33.

2- المصدر نفسه، ص: 43.

وقد كُتِبَ للأبجديات السامية أن حافظت على أسماء الحروف السينائية المفترضة وإن بدرجات متباينة، غير أنها أجمعت على قيمة الحرف الأول من اسم الحرف الأول الصوتية، بمعنى أن اسم أي حرف يحمل قيمته الصوتية في أول مقطع من مقاطعه ولا يخرج عنه، فالصاد في أوله صاد والراء في أوله راء وكذلك الألف- كما سبق – في أول نطقه همزة.

ولا يفوت البحث في هذا السياق أن يشير – وإن من قريب –إلى أسماء حروف هجاء العربية، تحت سقف سماتها مرتبة الترتيب الألف بائي: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، ذال، راء، زاي، سين، شين، صاد، ضاد، طاء، ظاء، عين، غين، فاء، قاف، كاف، لام، ميم، نون، هاء، واو، ياء.

وقد تكون العودة إلى ما ذكره الداني في كتابه "المحكم في نقط المصاحف"، وبخاصة والبحث يقف مستجلياً حروف التهجي وترتيب رسمها في الكتابة لا يخلو تتبع ما ورد عن الداني في هذا المقام من فائدة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- "عن ابن عباس قال: أول من نطق بالعربية، فَوُضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتاباً واحداً مثل (بسمالله) الموصول ثم فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[1].

1- المحكم في نقط المصاحف، الداني، ص: 25.

2- سُئِلَ المهاجرون: من أين تعلمتم الكتاب، فأجابوا من أهل الحيرة وسئل أهل الحيرة عن ذلك فقالوا: من أهل الأنبار.

وقيل لعبد الله بن عباس: "معاشر قريش، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي، تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرقون فيه ما افترق، هجاء الألف باللام والميم والشكل والقطع وما يُكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قلت: فمن علمكم الكتاب؟ قال، حرب بن أمية، قلت: فمن علم حرب بن أمية؟ قال عبد الله بن جدعان، قلت فمن علم عبد الله بن جدعان؟ قال: أهل الأنبار. قلت: فمن علم أهل الأنبار؟ قال: طارئ طرأ عليهم من أرض اليمن، من كندة. قلت فمن علم الطارئ؟ قال: الجلجان بن الموهم، كان كاتب هود نبي الله عليه السلام بالوحي من الله عزوجل."[1]

3- يروى أن حروف ألف ب ت ث تسعة وعشرون حرفاً عليها يدور الكلام كله والكتاب العربي، وقيل إنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى جدُّه – وهي كما سبق تسعة وعشرون حرفاً – تواضع الألف من بينها، فشكر له ذلك التواضع، وكُرِّم بأن جُعِلَ قائماً أمام كل اسم من أسمائه عزوجل.

4- وتقدمت الألف في كلا الترتيبين الأبجدي والألفبائي المشرقي والمغربي على سائر الحروف الهجاء لأنها صورة للهمزة في بداية الكلمة

1- المحكم، ص: 26.

ولسائر الهمزات أحياناً. وكذا لانفرادها بجعلها صورة الهمزة المتقدمة في الكلام ولكونها تشارك الواو والياء في استقلالها بصورة نفسها وبصورة للهمزة المتوسطة والمتأخرة قدمتْ.

وتجيء بعد الألف – على الترتيب – الباء والتاء والثاء، لأنها أكثر الحروف شبهاً، ويلحق بالثلاثة حرفا الياء والنون لكن إذا ما وقعتا أول الكلمة أو وسطها، فصارت خمسة متشابهات في الرسم، ولعل ما أوجب تقديم هذه الخمسة كثرتها، ثم تليها الثلاثة الأخر الجيم والحاء والخاء.

5- ويجيء بعد الحروف المتقدمة، الحروف المزدوجة يضبطها دورانها في الكلام كثرة وقلة، فما جاء منها مقدَّماً في الترتيب كان أكثر دوراناً في الكلام، يُستثنى من ذلك ما يُصوّر منها بصورتين مختلفتين في التطرف والتقدم، كالمتقدمتين لتقدم أمثالهما.

6- يذكر لبعض الحروف خاصية الانفصال، فمنها ما لا يتصل بأي حرف بعده، بعد أن كانت تقبل بالاتصال بما قبلها وعددها ستة، الألف والدال والذال والراء والزاي والواو. رسمت على هذه الشاكلة لئلا تلتبس بغيرها؛ فلو اتصلت الألف بما بعدها لأشبهت اللام، ولو باشرت الواوُ حرفاً آخر لاختلطت بالفاء، ولو اتصلت الأربع البواقي لأشبهت الياء والتاء وما على شاكلتهما.

7- وقد بدا لأبي عمرو الداني تخريجاً لم يعهده عند سالفٍ وما رآه لمتقدم استقاه من مقارنة هذا الترتيب بترتيب (أبي جاد) قال:" إنما تقدمت

الألف، وإن كانت منفردةً للمذكور في الخبر والنظر من استحقاقها ذلك ولتقدمها أيضاً في أول الفاتحة...و لكثرة دورها في الكلام وترددها في المنطق إذ هي أكثر الحروف دوراً وتردُّداً"[1] ويعني بالخبر والنظر، أن الأول ما حكي فيه تواضع الألف لله تعالى، وأن الثاني – بالنظر- قول أهل اللغة.

8- ويضيف الداني شارحاً أسباب تقدم الحروف بعضها عن بعض حين رتبها العلماء، فقد وليت الألفَ الباءُ والتاء والثاء لكثرتهن وكونهن على صورة واحدة، وقد جرت العادة على تقديم ما كثرت عادته واتفقت صوره، غير أنه يجب أن يعلم أن الباء قدمت بسبب تقدمها في التسمية التي يستفتح بها مع التعوذ الذي فيه ألف بداية فيقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ولتقدمه أيضاً – أي الباء – في أصل حروف التهجي "أبي جاد" ولكونها امتازت عن أختيها التاء والثاء بنقط مفرد على ترتيب العدد، كما كان للتاء التقدم على الثاء لكسبها نقطتين على خلاف الثاء المثلثة، والكثير بالضرورة مقدم على القليل الدور.

9- ثم رتبت الجيم والحاء والخاء لكثرتهن وتشابه صورتهن، وبالنظر إلى حروف التهجي واتصال الجيم بالباء قُدِّمت الجيم على الحاء كما قُدِّمت الحاء على الخاء لتقدمها في المخرج الحلقي، إذ الحاء من وسطه والخاء من أدناه، لذلك جاءت الخاء آخراً.

1- المحكم، ص: 24.

ورُتِّبت الدال والذال بعد الثلاثة السابقة، وهما برسم واحد، وتقدمت الدال غير المعجمة على الذال المعجمة لقربها من الجيم.

ثم وليت الدالَ والذالَ الراءُ والزايُ وهما على صورة واحدة شبيهتان في الرسم بالحرفين الواردين قبلهما، ولم تتقدم الزاي على الراء بداعي النظام الأبجدي، بل روعي فيهما جهة الإعجام- النقط –إذ كانت الحاء متقدمة على الخاء والدال متقدمة على الذال غير منقوطين فكذلك الراء حين قدموها على نظيرتها– الزاي-؛ ليأتي المزدوج كله على طريقة واحدة.

10- وتكون الحروف المتقدمة ذكراً متفقة الترتيب عند السلف والخلف من أهل المشرق وأهل المغرب، ثم يحدث اختلاف في ترتيب ما بعد ذلك فيما تَبقَّى من حروف، مزدوجها ومنفردها إلى ختام الحروف.

يُجلِّي مُؤَلَّفُ الداني "المحكم في نقط المصاحف" اختلاف مرسوم الحروف غير السابقة معلِّلاً تقديم المتقدم وتأخير المتأخر فرأى أن أهل المشرق رسموا بعد الراء والزاي والسين والشين، وهما على صورة واحدة، لاشتراك السين مع الزاي في الصفير الذي يعد زيادة صوت، وكان تقديمهم السين على الشين لتقدم غير المعجم من المشتبهين في الصورة على المعجم، عُرِّيَت السين من النقط فهي الأصل وأُعجِمت الشين فهي فرع، والأصل يقدم على الفرع، فلذلك تقدم غير المنقوط من المزدوج.

ثم جاء الصاد والضاد وهم على صورة واحدة لتقاسم الصاد السين في الصفير والهمس، وقُدِّمت الصاد على الضاد كما تقدمت السين الشين

غير أنهم لم يراعوا ترتيبها الأبجدي، لمؤاخاة السين الزاي في الصوت واتحاد الشين مع الجيم في المخرج.

ثم رسموا الطاء والظاء وهما على صورة واحدة، وقد اتفقا مع الصاد والضاد في صفتي الإطباق والاستعلاء فوليتهما لذلك، وكان للطاء السبق كما كان للصاد، ولتقدمها في هجاء " أبي جاد" واشتراكها – أي الطاء– مع الدال في المخرج، مخرج النطع.

وتختم هذه الحروف المزدوجة بالعين والغين وهما على صورة واحدة، وتقدمت العينُ الغينَ كما تقدمت الحاء الخاء من حيث المخرج وجهة الإعجام، إذ الأصل كما سبق يناله غير المعجم، وهو العين.

ثم رسموا المنفرد، فرتبوا بعد العين والغين الفاء والقاف واعتبر الحرفان من المنفرد لاختلاف صورتهما في الأطراف من الكلم فشُبِّهتا بالمزدوج لذا قدمتا على سائر المنفرد. ولما كانت الفاء متصلة بالعين ومرسومة بعدها في حروف "أبجد"، وهي متقدمة على القاف في الهجاء أيضاً، وتتعاقب مع الثاء في مثل: ثوم وفوم، تقدمت على القاف.

11- وتتجمع في الترتيب الألفبائي أربعة أحرف وهي من المنفرد جاءت مرتبة على رسمهن في كلمة "كلمن"، وهي الكاف واللام والميم والنون وتقدمت الكاف الأربعة أحرف لتقدمها في "أبي جاد" ولاتفاقها في المخرج مع القاف من أقصى اللسان، وتقدمت اللام الثلاثة الباقية لاشتباه صورتها بصورة الألف المتقدمة في حروف التهجي. وقُدّمت الميم على النون

لقوتها ولزوم صوتها، فلا يزول عنها بحال من الأحوال صوتها الغنيّ، لذا أدغم فيها غيرها ولم تدغم في مقاربها، وقد يزول صوت النون . وهي من الخيشوم . كله أو بعضه، يضاف إلى ميزة الميم أنها من مخرج الباء . فهي شفوية، وهي تبدل من النون إذا كانت ساكنة ولقيتها الياء . فتقلب ميما . في أي موقع كانت نحو: من بعدُ، ومنبر، ثم يأتي الثلاث الباقيات وهي الواو ثم الهاء ثم الياء، وهن آخر ما بقي من المنفرد، ويعلل مجيء الثلاثة على هذا الترتيب، لقرب الواو في شكلها من القاف الشبيهة الصورة بالفاء أيضاً، وتقدمت الهاءُ الياءَ لتقدمها عليها في حروف أبي جاد. وصارت الياء آخر حروف ألف باء ليعرف بصورتها إذا وقعت آخر الكلمة؛ لأن صورتها في هذا الحال اختلفت عن صورتها وهي في أول الكلمة أو وسطها. وكذلك أخَّروا اللام الألف وقد رسموها قبل الياء لرسمها بشكلين في انفرادها واختلاطها.

12- واختلف رسم أهل المغرب عن أهل المشرق في ترتيب الأحرف فجعلوا بعد الراء والزاي الطاء تم الظاء، فقدموا الطاء هنا لكونها من مخرج الدال، وكون الظاء من مخرج الذال، وتقدمت الطاءُ الظاءَ لتقدم الدال على الذال.

ثم رسموا الصاد والضاد لمجيئهما بعد هجاء "كلمن" في قولهم "صعفض" وتقدمت الصاد لكون غير المنقوط متقدماً على المنقوط، ليتميز الثاني من الأول.

ثم أعقبوا العين والغين، وقدموا العين لترتيبها قبل الغين في حروف أبي جاد ولتقدمها في مخرج الحلق ولخلوها من النقط.

ثم الفاء والقاف لكون الفاء ـ كما سبق ـ مرتبة قبل القاف وهي بعد العين في عبارة "سعفص".

ثم كانت السين بعد الشين وهما آخر المزدوج، وقدمت السين على الشين كما قدمت الصاد على الضاد.

ثم رسموا الهاء والواو والياء مراعين ترتيبهن في حروف أبي جاد من قولهم: "هوز"، "حُطي"[1].

ويختم الداني هذا الباب (باب ذكر القول في حروف التهجي وترتيب رسمها في الكتابة) يقول لقطرب يعلل كتابة تلك الكلمات المعبرة عن أسماء الحروف في ترتيبها، وقد حذف منها ما كان يجب أن يثبت قال: "وقال قطرب: إنما كتبوا (أبجد) بلا ألف ولا واو، لأن هذا إنما وضع في الكتاب لدلالة المتعلم على الحروف، فكرهوا أن يُطَوِّلُوا عليه، فلم يُعيدوا المثال مرتين فكتبوا (أبجد) بلا واو ولا ألف لأن معنى الألف في (أبجد)، والواو في (هوز) قد أُثْبِتَ، فوضحت صورتهما، وكلما مُثِّل الحرفُ مرةً استغني عن إعادته، وإنما أُثْبِتَتْ ياء (حطي) مع ياء (قريسيات) لاختلاف الصورتين، يعني صورتها في الطرف، وصورتها في غيره"[2].

1- هذا الترتيب الذي ورد ذكره هو تلخيص من كتاب المحكم للداني، ابتداءً من ص: 27 إلى ص: 34.

2- المحكم ص: 34.

يستخلص مما سبق من ذكر تعليلات الحروف ترتيبها إلى أن ترتيب (أ ب ت ث) ترتيب حادث بعد ظهور الدين الإسلامي؛ فنزول القرآن الكريم بالعربية ورسمه بالخط العربي وما صاحبه من نشاط في تعلم الكتابة وغيرها من العلوم أتاح للكتابة العربية فرصة التحسين في خطوطها وإعادة النظر في ترتيب حروفها.

وقد يكون الترتيب الألفبائي في ظهوره مرتبطاً بإعجام الحروف إن في إعجام الضبط وإن في إعجام النقط، وحين وقع الناس في التصحيف واختلط عند بعضهم الباء بالتاء رأوا الحاجة ماسة إلى تمييز الحروف المتشابهة صورها فراح بعض تلامذة أبي الأسود الدؤلي بوضع نقاط الإعجام لتمييز التاء من الباء والحاء من الخاء والراء من الزاي وتشير الروايات إلى أن ذلك حدث في زمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق سنة (75هـ)، ويقال إن نصر بن عاصم الليثي هو من قام بذلك، وهو من التابعين، توفي في سنة(90هـ) على خلاف، وكان من تلامذة أبي الأسود الدؤلي "وكانت له مشاركة في نقط المصاحف وتخميسها وتعشيرها وله دور في وضع العربية... وذُكِرَ أن الجاحظ قال: إن نصر بن عاصم أول من نقَّطَ المصاحف، وكان يقال له نصر الحروف"[1].

يدلُّ لقبه هذا – نصر الحروف – على مدى تعلقه بحروف الكتابة العربية ولعله تعدى تنقيطها إلى إعادة ترتيبها، إذ أَبرزَ هذا العمل ما بين

1- مسائل الرسم والنقط، ص: 23.

الحروف من وشائج فلم تبق الروادف الستة التي أضيفت إلى الاثنين والعشرين حرفاً من الأبجدية القديمة، لم تبق بمعزل عن باقي الحروف تذكر في الآخر بل شكلت مع نظيراتها ترتيباً جديداً سبق أن تناوله البحث في ترتيب(ألف باء تاء).

وبنظرة متفحصة في هذا الترتيب – الجديد – تدرك الصلة القائمة بين الترتيبين، فالأربعة أحرف الأولى فيه وهي (أ ب ج د) بقيت على شاكلتها وتخللتها متشابهاتها، فآلت إلى (أ ب ت ث ج ح خ د ذ) وقد صرح الداني في محكمه – كما سبق – بأن حروف "أبي جاد" هي أصل حروف التهجي، وما مجيء الراء والزاي بعد الدال والذال على هذا الترتيب إلا لقرب صورهن بعضهن من بعض.

وينقل أبو العباس القلقشندي (ت 821هـ) ترتيب أهل المشرق وأهل المغرب، وقد لاحظ أن الترتيبين لم يكن فيهما توافق لديهما في المزدوج والمفرد، ويعني بالمزدوج ما تجمعت حروفه في كلمات وهو القديم والمفرد لم تجمع وهو الحديث ولعله روعي في التشابه لتسهيل الحفظ.

قال أبو العباس: "واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب. أمَّا المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ ولا ي.

وأمَّا أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ ولا ي.

وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

وأهل الغرب يرتبونه: أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرشت ثخذ ظغش"[1].

مما سبق يستخلص أن الحروف العربية كما أشار الرافعي "لم تكن على هذا الترتيب الهجائي من قبل، وإنما هو ترتيب نصر بن عاصم ويحي بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان حين بُدِئَ في إصلاح الخط وتمييز الحروف والحركات وكانت قبل ذلك على ترتيب "أبجد هوز" المعروف وهو ترتيب السريانية والعبرانية"[2].

ينقل لنا الداني بعد أن عَرَّفنَا على ترتيب أحرف ألف باء وسبب تقديم المتقدم وتأخير المتأخر، وقد فرق بينهما بنقط بعض وإهمال بعض، يأتي ليرتبها في مجموعات حسب نقطها أو عدمه قال: وقال غير الخليل: حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفةً منفردة في التهجي وهي سواكن، وقد دخل فيها لام ألف موصولين لانفرادهما في الصورة، وهي أربعة أصناف: صنف منها ستة أحرف متباينة لا تحتاج إلى الفصل بينها وبين

1- صبح الأعشى، 3/23-24.

2- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4/1394هـ-1974م، ص: 36-37.

غيرها بشيء من النقط (أ ك ل م وهـ)، وصنف فيها سبعة أحرف متلابسة مخلاة (ح د ر س ص ط ع).

وصنف منها أحد عشر حرف متلابسة يفصل بينها وبين ما قبلها من المتلابسين بالنقط (ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ).

وصنف منها أربعة أحرف تُخلى إذا لم يوصل بها شيء، وتنقط إذا وصل بها غيرها: (ف ق ن ي) فجميع ما ينقط منها لالتباسها بغيرها خمسة عشر حرفاً، منها ثمانية أحرف كل حرف منها بنقطة واحدة (خ ذ ز ض ظ غ ف ن)، واثنان بنقطتين من فوقها (ت ق)، واثنان بثلاث نقط من فوقها (ث ش)، واثنان بواحدة من تحتها (ب ج)، وحرف واحدة بنقطتين من تحته (ي)[1].

ويشير الداني بعد هذا التفريق إلى ما ذهب إليه أهل المشرق من نقط الفاء بواحدة من فوقها، والقاف بنقطتين من فوقها، على حين نقطهما أهل المغرب بواحدة من أسفل للفاء وبواحدة فوق القاف وكلهم طلب الفرق بين الحرفين.

ورأى بعض العلماء تعليلاً آخر للنقط بعد أن جعلوا الحروف المتشابهة رسماً في مجموعة واحدة مثل مجموعة (ب ت ث ن ي)، وهي خمسة تشابهت صورها في الكتابة، لأجل ذلك احتيج إلى النقط ليفرق بينها فواخوا بين حرفي الباء والنون وبين التاء والياء، فأعطوا الباء نقطة من تحت

1- المحكم للداني، ص: 36-37.

والنون واحدة من فوق، ونقطوا التاء اثنتين من فوق والياء اثنتين من تحت، وانفردت الثاء بلا أخت فنقطوها ثلاثاً من فوق مع أنها لم تَخْلُ من شبه.

وحين جاءوا إلى الثلاثة المتشابهة صورة ورسماً (ج ح خ)، رأوا أنه لا شبيه لها في حروف المعجم، وكان ابتداؤهم بالجيم فنقطوها بواحدة من تحت لكونها – حين تنطق – مكسورة، وجردوا الحاء من النقط فرقاً بينها وبين الجيم واختاروا للخاء نقطة من فوق لأن اللفظ بها مفتوح.

وعملوا بالدال والذال مع ما كانوا عملوه بالسابقة، فأخلوا الدال من النقط؛ لأن ما قبلها منقوط وهو الخاء، ونقطوا الذال واحدة من فوق لأنها تلفظ مفتوحة.

وقد فعلوا الفعل نفسه بالراء والزاي.

وحين جاءوا إلى السين والشين وقد اتحدت صورتهما فلم ينقطوا الحرف الأول (السين)، ليفرّق بينها وبين أُختها "ونقطوا الشين بثلاث من فوق لأنه حرف واحد، صورته صورة ثلاثة أحرف، واختاروا النقط لها من فوق ولفظها مكسور، لأنها من بين الحروف المزدوجة كثيرة النقط مخالفة في ذلك سائر المنقوط من المزدوج والمنفرد إلا الثاء فإن علتها مخالفة لعلَّةِ الشين"[1]، ولو لم يفرقوا بين السين والشين بنقط لقُرِئت كثير من الكلمات على غير مرادها، نحو (سن) فقد تقرأُ على أنها فعل ماض من مصدر شَنَّ، يَشُنُّ، وقد تؤخذ من مصدر التَّبَيُّن على أنها من الماضي: تَبَيَّنَ، لذا قرئت

1- المصدر نفسه، ص: 38.

كلمة (فسنوا) من سورة [الحجرات/الآية06] بقراءتين مخرَّجتين من رسم الكلمة فتُؤَدَّى: (فَتَبَيَّنُوا) و(فَتَثَبَّتوا)، ولعل هذه أهم ميزة لنقط الحروف.

وقد اتفقت نظرتهم إلى الحرفين الصاد والضاد وكذا الطاء والظاء، والعين والغين إذ لعله في جميعها واحدة.

ثم وقفوا وقفة متأنية مع الفاء والقاف، ولما كانا حال الانفراد مختلفي الصورة، مشتبهتين في أول الكلام ووسطه، ولما اختلفت صورتهما في موضع واتفقت في آخر اختير لهما النقط لكن خولف بينهما ليفرق بينهما بذلك النقط، فجعلوا لهما النقط من فوق بإعطاء الفاء نقطة والقاف نقطتين، لأن مخرج لفظهما مفتوح.

ولما جاءوا إلى الكاف وقد وجدوا صورتها لا تشتبه صورة حرف من حروف المعجم وهو يتصل بأول الكلام ووسطه وأواخره ولا ينفرد بذاته إلا في أواخر الكلام، أخلوه من النقط.

وقد فعلوا باللام وهو حرف منفرد الشكل ما فعلوه بالألف والكاف فلم ينقطوه.

ونظروا إلى الميم وهو حرف منفرد لا مثيل له في الرسم نظرتهم إلى الكاف واللام فأخلوه من النقط وأجروه مجراهما.

ثم جاءوا إلى الواو، وقد وجدوها تشبه القاف في الرسم في الانفراد وفي أواخر الكلام وتختلف عنها في أول الكلام ووسطه فيُوصل بها غيرها ولا

تُوصل بغيرها رسماً، ولما كان للواو شبه بالقاف في مواضع خالفت القاف فيها الفاء أخلوها – أي الواو – من النقط.

ثم جاءوا إلى الهاء، وهو حرف منفرد لا يشبه حرفاً من حروف المعجم وقد صور في الكتابة بصورتين مختلفين؛ إذ هو في الابتداء أو الوسط مشقوق، وفي الأخير مُدَوَّر غير مشقوق، فلم ينقطوه لخلو الشبه واختلاف الصورة، وربما اعتبر الخط الذي يشق به حين يقع أولاً أو وسطاً عوض النقط عند اختلاف الصورة.

وقد يحتج على حرف الهاء لِمَ لَمْ ينقطوه وقد اختلفت صورته في الكتابة بعد أن علم أن ما اختلف من الحروف المفردة في موضع واتفق في موضع صار محتاجاً إلى النقط ليستدل به، أجيب عنه بنقط الباء والتاء بواحدة واثنتين لعلة شبههما بالياء والنون، واختير للثاء ثلاث نقط لأن لها أربعة أمثلة كلها منقوطة بما عُرِف، ونقط الشين أيضاً بثلاث لعلة مشابهتها للسين ولما عرف عنها في صورتها –رسماً– التي ضاهت صورة ثلاثة أحرف وهذا الحرف أي الهاء لم تكن صورته إلا صورة حرف واحد فلم ينقطوه بواحدة لانفراده أولاً، ولم يعطوه اثنتين لعلة شبهه ثانياً، ولم ينقطوه بأكثر من اثنتين لعلة صورته فبات إلزاماً أن يخلى من النقط[1].

1- ينظر المحكم للداني، ص: 39-40.

تباين نظام ترتيب الحروف العربية بين المشارقة والمغاربة تبايناً بسيطاً ليس بالمعقد، فقد اتفق الفريقان في البداية والنهاية واختلفاً حشواً [في وسط الترتيب]:

فكان ترتيب المشارقة (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ ولا ي).

وترتيب المغاربة (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ ولا ي).

ولا ندري – كما أشار محمد مرتاض- ما سبب هذا الاختلاف في الترتيب بين عرب المشرق وعرب المغرب، فليس من تحسن صوتي ولا اعتبار تدريجي "وكان الأسلم لأن يكون هناك ترتيب آخر في صالح المبتدئين من الأطفال كتأجيل الحروف اللثوية مثلاً إلى نهاية دراسة هذه الحروف لأن الطفل الصغير لا يمكن له أن ينطق هذه الحروف إلا بصعوبة كما تأكد لنا ذلك في أثناء ممارستنا لمهنة التدريس مع الصغار"[1].

وقد لا يستساغ هذا الرأي، فكلا الترتيبين روعي فيه مبدأ تجميع الحروف المتشابهة الصورة والرسم وفرق بينها بالنقط وكان الصغار وهم يُعلّمون يُحَفَّظون الحروف مرتبة ثم معجمة ثم مضبوطة وإن في حال تنوينها.

1- الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ص: 49-50.